

كلما هُضمت ففة مؤمنة لتقارع طواغيت الكفر والحكم والظلم .. لتعيد للأمة مجدها وحققها المسلوب .. وترفع عنها أغلال العبودية والظلم .. ترتفع بعض أصوات المثقفين المهزومين المأجورين .. ومنهم — وللأسف — من يُحسب على الدعوة والدعاة .. بضرورة المحافظة على الأمن والأمان .. وأن لا نسيء لنعمة الأمن والأمان التي نتمتع بها البلاد!!

كلما وُجّهت الدعوة للشعوب المهضومة المستعبدة لإرادة الطواغيت الظالمين .. بضرورة الكفر بالطاغوت، والانخلاع منه، ومن نظامه، وحزبه، وقانونه .. والخروج عليه .. ترتفع — في المقابل — أصوات المهزومين من الدعاة المأجورين والمأسورين لإرادة ورغبات الطاغوت .. بأن هذه الدعوة تتعارض مع ما نتمتع به البلاد من أمن وأمان .. وأن الكفر بالطاغوت .. والخروج عليه فتنة تُفقدنا نعمة الأمن والأمان التي نعيشها!!

كلما أراد المسلمون بأن ينهضوا للقيام بما يجب عليهم نحو دينهم وأمتهم وحقوقهم التي اغتصبها الطاغوت .. ترتفع أصوات أولئك المهزومين المأجورين المثبطين .. متظاهرين بالشفقة والرحمة على العباد والبلاد .. بأن هذا المسلك مؤداه إلى الوقوع في الفتنة .. وفقدان نعمة الأمن والأمان التي نعيشها .. ويجسدنا عليها الناس!!

وهؤلاء إذ يتظاهرون بالإشفاق على الناس وأمتهم وأماهم .. إلا أنهم في حقيقة أمرهم لا يُشفقون على شيء سوى على الطاغوت وعرشه ونظامه .. وعلى مكاسبهم ومصالحهم الخاصة .. والفتنات الذي يُرمى إليهم من قبل الطاغوت!

ولهؤلاء الذين يتباكون على الأمن والأمان، نقول: الأمن والأمان مطلب شرعي ومقصد من مقاصد الدين، لكن الأعظم من مقصد الأمن والأمان .. وكل مقصد .. مقصد ومطلب التوحيد .. وسلامة التوحيد؛ فإذا تعارض مقصد ومطلب التوحيد مع مقصد ومطلب الأمن والأمان .. وأي مقصد أو مطلب آخر .. قدم ولا بد مطلب ومقصد التوحيد .. وسلامة التوحيد .. وهذا الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وإجماع علماء الأمة.

من هذا المنطلق المجمع عليه شرع الجهاد في سبيل الله .. رغم ما يترتب عليه من قتل وقتال وزهق للأنفس .. وشرعت الحجر إلى الله التماساً لسلامة العبادة والعقيدة والدين .. رغم ما يترتب عليها من مفارقة للأوطان، والأهل، والأحبة ..

والمسكن .. والمتاجر .. والأموال .. فالله تعالى أجل وأحب إلى عباده المؤمنين من كل ما سواه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا ﴾ وهو ما يمثل عالم الأمن والأمان ﴿ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾ وهو ما يمثل التوحيد .. والولاء للعقيدة والتوحيد ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾. فهذه هي النتيجة المؤلمة التي تدمغ صاحبها بالفسوق والكفر والخروج عن الدين!

وقال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ ﴾ عالم الأمن والأمان ومادته ﴿ فِتْنَةٌ ﴾؛ وذلك عندما تكون سبباً يصد المرء عن القيام بما تقتضيه عقيدة التوحيد من جهاد وبذل وعطاء ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾. لمن قدم مقصد ومصصلحة العقيدة والتوحيد .. على مقصد ومصصلحة أمن الأموال والأولاد.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْكُمْ أَرْوَاحٌكُمْ وَأَوْلَادٌكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ وذلك عندما يحملونكم على البخل والشح؛ فيصدونكم عن القيام بواجب الجهاد في سبيل الله .. وما تقتضيه مصلحة العقيدة والتوحيد من مواقف وأعمال ﴿ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾. أي فاحذروا الأزواج والأولاد — عالم الأمن والأمان ومادته — من أن يحملوكم على التخاذل والحين .. وعدم القيام بما تقتضيه مصلحة العقيدة والتوحيد من مواقف وأعمال.

وكانت الكفارة لمن عبد من بني إسرائيل العجل .. ولما نقضوا عقيدة التوحيد .. أن يقتلوا أنفسهم .. وأي أمن وأمان مع الأمر بأن يقتلوا أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لَكُمْ ظِلْمٌ أَنْتُمْ تُعْبَدُونَ الْعِجْلَ قَاتِلُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

قال ابن كثير في التفسير: قال ابن عباس: أمر موسى قومه عن أمر ربه ﷻ أن يقتلوا أنفسهم، قال: وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فأنجلت الظلمة عنهم وقد جلو عن سبعين ألف قتيل، كل من قُتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة.

وعن سعيد بن جبير ومجاهد ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ قال: قال بعضهم على بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضاً لا يجنو رجل على قريب ولا بعيد حتى ألقى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم، فكشف عن سبعين ألف قتيل - هـ.

قلت: وما أكثر الطواغيت العجول في زماننا التي تُعبد من دون الله .. وتخاصم الله تعالى في ألوهيته وربوبيته .. التي يجب على الأمة أن تتطهر منها ومن رجسها .. وعبوديتها .. مهما كانت التكاليف والتضحيات!

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع" مادة الأمن والأمان ومتعلقاته .. وركنتم إلى ذلك " وتركتم الجهاد " وهو ما يقتضيه موقف الولاء للعقيدة والتوحيد .. فالنتيجة المحتملة التي ينبغي أن نتوقعها ونتنظرها " سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذَلَا لَا يَزْعَهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ". فتقدموا مصلحة العقيدة والتوحيد والجهاد في سبيل الله .. على كل ما سواها من المصالح والمقاصد مهما عظمت.

ونقول كذلك لهؤلاء المرحفين الذين يتباكون على الأمن والأمان، خشية الوقوع في الفتنة زعموا: أن الفتنة كل الفتنة تكمن بالرضى بهؤلاء الطواغيت الظالمين .. وبأنظمتهم الكافرة .. وبالركون إليهم .. كما قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾. أي فتنة الرضى بالطاغوت .. وما يصدر عنه من كفر وشرك وظلم .. أشد وأكبر من فتنة القتل وما يترتب عليه من آلام وجراح!

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾. وأي ركون أعظم من الرضى بالطواغيت الظالمين وبحكمهم وقانونهم .. وترك جهادهم؟!

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. ومن أمر النبي ﷺ للمسلمين الذي إذا تركوه أصابتهم فتنة .. أو يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .. الخروج على الحاكم الكافر المتلبس بالكفر البواح، كما في الصحيحين: " إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان "؛ أي إذا رأيتم منه كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان ودليل من كتاب الله أو سنة رسوله، تعين قتاله



التوحيد ..

قبل الأمن والأمان

لفضيلة الشيخ

عبد المنعم مصطفى حليلة

"أبو بصير الطرطوسي"

٢٠٠٢/٨/٨ هـ - ١٤٢٣/٥/٢٠ م

www.abubaseer.bizland.com

www.altartosi.com

www.altartosi.info

ومما يدل على هذا الواقع المرير، ذلك التقرير الذي أعدته "الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في السعودية" والذي نشرته كثير من وكالات الأنباء والإعلام، وقد ورد فيه: "أن السجون في السعودية تضم ضعف طاقتها الاستيعابية من السجناء"؛ فامتألت العمارات والسجون الضخمة بالسجناء الأحرار .. بل هي — بحسب رواية التقرير — تضم ضعف طاقتها من السجناء .. والنظام السعودي رغم ما يملك من أموال طائلة سلبها من شعبه المحروم، فلم يعد يملك العمارات التي يضع فيها السجناء المعارضين لكثرتهم!!

فأي أمن وأمان — يا دعاة الإرجاف والتشبيط — مع تلك السجون الضخمة التي تغص بالمؤمنين الموحدين ..؟! هذا في السعودية .. بلد الحرمين الأسيرين .. فكيف لو أردنا أن نتكلم عن سجون الطواغيت الظالمين في سورية أو مصر .. أو ليبيا .. أو تونس .. أو الجزائر .. أو العراق .. أو غيرها من البلدان التي يحكمها الطواغيت المجرمون .. وما أكثرهم؟!

يا أيها الناس .. يا أبناء ديني وأمتي في كل مكان .. حتى لا تقولوا كتمتم عنا العلم .. فلم تنصحووا ولم تبينوا .. هأنذا أبرئ الذمة .. معذرة إلى ربكم .. فأستصرخكم من جديد .. وأحذركم من جديد .. وأعيد لكم البيان والتذكير المرة تلو المرة — محتسباً نقمة الطواغيت الظالمين علينا عند الله — فأقول ناصحاً ومشفقاً: إن أردتم أن يُرفع عنكم هذا الذل والضميم الذي طال أمده .. وأن تُعيدوا للدين عزه ومجده، ودوره في الحياة وقيادة الشعوب .. لا بد من أن تتحرروا أولاً من سلطان وضغط وهيمنة طواغيت الحكم والكفر في أمصار المسلمين .. وراء كل عقبة كأداء تمنع المسلمين من التقدم والتحرك نحو أهدافهم وحقوقهم .. فإن لم تفعلوا .. فتربصوا .. وانتظروا مزيداً من الذل، والخوف، والضياع، والفقر، والتخلف، والتهيه .. والعذاب .. وروضوا أنفسكم على دفع المزيد من الضرائب الباهظة تقدمونها بنفس مرغمة مكرهة على موائد وشهوات ورغبات الطواغيت الظالمين .. ولا تلوموا حينئذ إلا أنفسكم!

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

والحمد لله رب العالمين.

والخروج عليه .. وهذا الذي نص عليه جميع أهل العلم بلا خلاف؛ لعلمهم أن إقرار الحاكم على كفره وطغيانه أشد فتنة وضرراً على الأمة من قتاله والخروج عليه .. مهما ترتب على الخروج عليه من تضحيات.

تأملوا — إن شئتم — حجم الذل والخنوع .. وحجم الظلم والفقر .. وحجم الفساد والتخلف والجهل .. وحجم الضرائب الباهظة التي تقدمها الشعوب من دينها .. وعرضها .. ومالها .. وعزتها .. وكرامتها .. عندما تخلوا عن العمل بفریضة وواجب الخروج على طواغيت الحكم والكفر والظلم .. خشية الوقوع في الفتنة .. وخشية فقدان نعمة الأمن والأمان .. زعموا!!

أي فتنة نخشاها تعلوا الفتنة التي أصابت الأمة في هذا الزمان بسبب ركوتها — إلا من رحم الله من عباده المؤمنين الموحدين — للطواغيت الظالمين الآثمين .. وعدم الخروج عليهم! أين الأمن والأمان — الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين — في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. والمرء لا يجد الحرية ولا الأمان الذي يمكنه من التعبير عن عقيدته ودينه ..؟!

أين الأمن والأمان — الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين — في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. والمرء لا يجزؤ على أن يقول كلمة نقد واحدة في الطاغوت الحاكم .. رغم ما يراه — وعلى مدار الوقت — من انتهاكات صريحة للحقوق والحرمات ..؟!

أين الأمن والأمان — الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين — في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. وكثير من شباب التوحيد لا يأمنون على أنفسهم أن يؤديوا مناسك الحج أو العمرة .. أو يزوروا الحرمين الشريفين اللذين يُفترض أن يكونا أكثر بقاع الأرض أمناً وأماناً .. خشية أن تتخطفهم كلاب الطواغيت المسعورة ..؟!

أين الأمن والأمان — الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين — في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. والشعوب المقهورة لا تملك سوى أن تقول للطاغية الجلاد .. نعم .. ولو تجرأ أحدهم فقال مرة: لا، فمصيره السجن أو القتل أو الطرد والتهجير ..!!

أين الأمن والأمان — الذي يزعمه هؤلاء المخذلين المأجورين — في ظل حكم هؤلاء الطواغيت الظالمين .. وسجونهم تغص بعشرات الآلاف من الأبرياء المظلومين .. من صفوة وخُلص شباب هذه الأمة ورجالها؟!